ألف حكاية وحكاية (٤٩)

يعقوب الشاروني

مشمش أكل كوكي

وحكايات أخرى



مكتبة مصر

ألف حكاية وحكاية (٤٩)

مشمش أكل كوكى

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى

رسوم

نسيم



مكتبة مصر

فوق الرمال

انطلقَتْ سمكةٌ من أسماكِ القرشِ خلفَ سمكةٍ من أسماكِ التونةِ، تُطارِدُها وتُريدُ أن تقضِيَ عليها. لكن سمكةَ التونةِ كانَتْ تسبحُ بسرعةٍ وقوةٍ، فطالَتِ المُطارَدةُ.

وبذلَتْ سمكةُ القرشِ جهدًا كبيرًا، فأوشكَتْ أن تُمسِكَ بسمكةِ التونةِ.

وحاولَتْ هذه الأخيرةُ أن تنجُوَ، لكن قوةَ اندفاعِها أثناءَ هربِها، دفعَتْ بها إلى رمالِ الشاطئِ!

وبسببِ عنفِ المطاردةِ، اندفعَتْ خلفَها أيضًا سمكةُ القرشِ.

وهكذا ارتمَتِ السمكتانِ على الشاطئِ الرمليِّ خارجَ الماءِ،



وبدأتِ الحياةُ تتسرَّبُ منهما.

ولمَّا رأتِ التونةُ عدُوَّتَها تقتربُ من الموتِ مثلَها. قالَتْ: "لو عرفَ المُعتدى أن عدوانَهُ كثيرًا ما يقضى عليه هو نفسِهِ، لتَردَّدَ ألفَ مرةٍ قبلَ أن يرتكبَ الشرَّ!!"



رؤية القلب ورؤية العين

خرجَ رجلانِ من قريتِهما، وقد حملَ كلٌّ منهما كيسًا مملوءًا ببيضِ الدجاجِ، لبيعِهِ في سوقٍ كانَتْ تُقامُ في مدينةٍ قريبةٍ.

وما إنِ ابتعدًا قليلاً عن القريةِ، حتى اختفَتْ زرقةُ السماءِ خلفَ غيومٍ سوداءَ. والتمعَ البرقُ، وزأرَ الرعدُ، ثم هطلَتِ الأمطارُ بغزارةٍ!

واحتمى الرجلانِ تحتَ شجرةٍ، إلى أن تَوقَّفَ المطرُ، ثم استأنفا سيرَهما.

كانَتْ هناكَ ابتسامةٌ على وجهِ الرجلِ الأولِ، وهو يشعرُ بنشاطٍ ومرحٍ، فالتفتَ إلى زميلِهِ وقالَ:

"ما أجملَ الجوَّ بعدَ المطرِ .. يغسلُ الأشجارَ، ويُزيلُ الغبارَ."

عندئذٍ نظرَ إليه الثاني، وقد اكفهرَّ وجهُهُ، وظهرَ عليه الضيقُ، وقالَ: "لا أرى إلا أن المطرَ جعلَ الطريقَ موحلاً، وسيُؤخِّرُنا هذا كثيرًا عن الوصول إلى السوق."

ولم يُجِبِ الأولُ، لكنه همسَ لنفسِهِ: "من المؤكَّدِ أننا كثيرًا ما نرى الأشياءَ بقلوبِنا، أكثرَ مما نراها بعيونِنا .. السعيدُ يراها من جانبِها الطيبِ، والمُكتئِبُ يراها من جانبِها السيِّئِ!!"





الألف والياء

قالَ حرفُ الألفِ للياءِ: "أنا الأفضلُ لأننى الأولُ .. لا ينسانى إنسانٌ لأنه يرانى أولَ ما ينظرُ .. بغيرى يكونُ الصفُّ ناقصًا."

قالَتِ الياءُ: "لابدَّ لكلِّ صفٍّ من شخصٍ يوجَدُ فى آخرِهِ، يُعلِنُ نهايتَهُ. ولا تنسَ أن الأطفالَ عندما يذكرونَ الألفباءَ يَتنفَّسونَ فى ارتياحٍ عندما يصلونَ عندى. إننى أحرسُ الخاتمةَ، كما تبدأ أنت المُقدِّمةَ."

قالَ حرفُ الألفِ: "أنا أقفُ مُنتصِبًا، ليسَ فى قامتى التواءٌ أو انحناءٌ. أنا رمزُ الاستقامةِ."

ردَّتِ الياءُ: "شكلُكَ الهندسِيُّ جافٌّ لارقَّةَ فيه، أما أنا فأنثنى فى ليونةٍ ورقَّةٍ، كأننى جسمُ فتًى رياضِىٍّ، يحصلُ على المراكزِ الأولى فى كلِّ مباراةٍ أو مسابقةٍ!"

سمعَتِ الباءُ هذا الحديثَ الغريبَ بينَ الألفِ والياءِ، فقالَتِ: "هل تستقيمُ الكتابةُ بغيرِ الألفِ والياءِ معًا؟ لن يحلَّ أحدُهما محلَّ الآخرِ، بل لابدَّ أن يستخدمَهما الكاتبُ فى كلِّ ما يكتبُ، وإلاَّ أصبحَ ما يكتُبهُ مُشوَّهًا غامضًا. وليسَتِ العبرةُ بالمكانِ الذى نقفُ فيه، بل بالعملِ الذى نؤدِّيهِ."



مشمش أكل كوكى

كان "كوكى" طائرُ البيتِ المُدلَّلُ .. يتجمَّعُ حولَهُ الأطفالُ والكبارُ، يتأمَّلونَ ألوانَ ريشِهِ الصفراءَ والزرقاءَ والحمراءَ، ويستمعونَ إلى تغريدِهِ الجميلِ، ويُراقِبونَ حركاتِهِ المُندفِعةَ المُضحِكةَ.

وكوكى طائرٌ فى حجمِ الحمامةِ الصغيرةِ، اشتراه الأبُ منذُ ستةِ أشهرٍ بمبلغٍ كبيرٍ. ومنذُ أنْ دخلَ قفصَهُ إلى البيتِ، أصبحَ محورَ اهتمامِ أهلِ البيتِ وأصدقائِهم وضيوفِهم.



واحدٌ فقط من أهلِ البيتِ لم يرحّبْ بالزائرِ الجديدِ. فمنذُ دخلَ كوكى البيتَ، والقطةُ مشمشةُ تلفُّ وتدورُ حولَ قفصِهِ، تحاولُ انتهازَ لحظةٍ يغفلُ فيها أهلُ البيتِ عن الطائرِ، لتُسرِعَ بمخالِبها محاولةً أن تصلَ إليه.

كانَتْ مشمشةُ تغارُ من هذا الزائرِ الجديدِ، الذى حرمَها معظم ما كانَتْ تجدُهُ من اهتمامِ أهلِ البيتِ. وكانَ الطائرُ يُبادِلُها نفورًا بنفورٍ، فما إنْ تقتربْ منه، حتى يبتعدَ إلى أقصى ركنٍ من قفصِهِ، يحتمى فيه بعيدًا عنها.





لذلك كان حرصُ أهلِ البيتِ شديدًا على إبعادِ قفصِ الطائرِ عن مُتناوَلِ مخالبِ القطِّ، كما كانَ حرصُهم شديدًا على إغلاقِ بابِ القفصِ جيدًا، حتى لا يجدَ القطُّ الحاقدُ فرصةً للوصولِ إلى الطائرِ الوديعِ.

لكنْ حدثَ ذاتَ صباحٍ أنِ استيقظَتِ الأسرةُ، فوجدَتْ بابَ القفصِ مفتوحًا، وقد اختفى منه كوكى. ثم وجدوا بعضَ ريشِهِ الملُوَّنِ تحتَ أحدِ المقاعدِ، فاتَّجَهَتْ أبصارُهم الغاضبةُ فورًا إلى القطِّ، وقد امتلأتْ نفوسُهم بالألمِ والغيظِ والحزنِ. وأسرعَ كلُّ واحدٍ



منهم يضربُ القطَّ بما يصلُ إلى يَديْهِ من أشياءَ، فأسرعَ القطُّ يختفى من البيتِ وقد ملأهُ الرعبُ.

قالَ حسام، أصغرُ الأبناءِ، وكانَ فى السادسةِ من عمرِهِ، مُوجِّهًا الاتهامَ إلى أخيهِ علاء الذى يكبرُهُ بخمسةِ أعوامٍ: "علاء كانَ آخرَ مَنْ داعبَ كوكى ليلةَ أمسِ. لقد فتحَ بابَ القفصِ، وأدخلَ يدَهُ ليأخذَ ريشَةً مُلوَّنةً سقطَتْ من الطائرِ. ومن المُؤكَّدِ أنه نَسِىَ بابَ القفصِ مفتوحًا."

ثم أضافَ حسام: "وقد سمعْتُ وأنا نائمٌ صرخةَ العصفورِ والقطُّ يفترسُهُ، لكننى ظننْتُ نفسى أحلمُ."

وقبلَ أن ينهالَ أفرادُ الأسرةِ باللومِ على علاء، صرخَ هذا مُدافِعًا عن نفسِهِ: "حسام ينامُ مُبكِّرًا، فلم يعرفْ ماذا حدثَ بعد ذهابِهِ إلى فراشِهِ. لقد قامَتْ ماما بتنظيفِ قفصِ العصفورِ. فإذا كانَ بابُ القفصِ قد بَقِىَ مفتوحًا، فلسْتُ أنا المسئولَ عن ذلك!!"

وتألَّمَتْ ماما من هذا الاتهامِ، فقد كانَتْ أحرصَ أهلِ الأسرةِ على سلامةِ الطائرِ الوديعِ. قالَتْ فى عتابٍ:

"أنا واثقةٌ أننى أغلقْتُ بابَ القفصِ بعد تنظيفِهِ. وأذكرُ جيدًا أن البابَ لم يطاوِعْنى بسهولةٍ عندما أردْتُ إغلاقَهُ، وبذلْتُ جهدًا حتى أصلحْتُهُ."

هنا خرجَتْ "أمانى"، الأختُ التى تبلغُ الخامسةَ عشرةَ من العمرِ، من غرفتِها، والدموعُ فى عينَيْها حزنًا على كوكى وقالَتْ:

"إن بابا كثيرًا ما يأخذُ كوكى من قفصِهِ، ليتأمَّلَ حركاتِهِ وهو يقرأ الصحيفةَ قبلَ أن ينامَ. لا شكَّ أن بابا قد داعبَ العصفورَ ليلةَ أمسِ، ثم نَسِيَ أن يتأكَّدَ من إغلاقِ بابِ القفصِ!!"

فى تلك اللحظةِ، خرج بابا من غرفةِ النومِ، والنعاسُ لا يزالُ يُداعِبُ أجفانَهُ. كانَ من الواضحِ أنه لم يسمعْ بعدُ بقصةِ افتراسِ القطِّ للطائرِ، فقد نامَ ليلةَ أمسِ فى وقتٍ مُتأخرٍ، واستيقظَ فى تلك اللحظةِ فقط. وعندما شاهدَ الوجومَ وعلاماتِ الحزنِ ظاهرةً على وجوهِ أفرادِ الأسرةِ جميعًا ، انقبضَ صدرُهُ بشدةٍ، وسألَ وقد اجتاحَهُ قلقٌ شديدٌ: "ماذا حدث !"



اندفعَ حسام الصغيرُ إلى حضنِ والدِهِ وهو يجهشُ بالبكاءِ قائلاً: "مشمش أكلَ كوكى!!"

وارتفعَ نحيبُ أمانى، فاندفعَتْ هى الأخرى إلى غرفتِها لتُخفِىَ دموعَها. أما علاء وماما، فقد وجَّها نظراتِ اللَّوْمِ إلى الأبِ، الذى فُوجِئَ بذلك المشهدِ الحزينِ.

ولم يُجِبِ الأبُ بكلمةٍ، بل عادَ ببطءٍ إلى غرفةِ نومِهِ. وبعدَ لحظاتٍ، خرجَ وبيدِهِ صندوقٌ صغيرٌ من ورقِ الكرتون، وقالَ فى هدوءٍ: "كانَتْ درجةُ الحرارةِ مُنخفِضةً جدًّا فى الشرفةِ حيثُ نُعلِّقُ قفصَ كوكى، فأشفقْتُ عليه، وفضَّلْتُ أن يبيتَ معى هذه الليلةَ داخلَ هذا الصندوقِ."

وفى غمرةِ الفرحةِ بوجودِ كوكى، عَمَّتِ البهجةُ كلَّ البيتِ، ولم يجدْ أفرادُ الأسرةِ وقتًا ليُعاتِبَ بعضُهم بعضًا على ما وجَّهَهُ كلٌّ منهم إلى الآخرينَ من اتهاماتٍ!!"

الطبق والكوب

قالَ الكوبُ الزجاجِيُّ الفارغُ، للطبقِ الخزفِيِّ الذى يحملُهُ:

"لسْتُ أفهمُ ما الذى أتى بكَ تحتى؟! أنا الذى أحفظُ المشروباتِ الساخنةَ والباردةَ، فما هو عملُكَ؟ إنكَ تُريدُ مُجرَّدَ الظهورِ أمام الضيوفِ وأهلِ البيتِ .. ما أنتَ إلا قطعةٌ زائدةٌ، يحسنُ الاستغناءُ عنها."

بعدَ قليلٍ، امتلأ الكوبُ بالشاى الساخنِ، وأطبقَتْ عليه أصابعُ صغيرةٌ لصبِىٍّ صغيرٍ.

ما إنْ رفعَ الصبِىُّ الكوبَ، حتى لسعَتْهُ الحرارةُ الشديدةُ. وفى الحالِ، أفلتَتِ الأصابعُ الصغيرةُ الكوبَ، ليسقطَ على الأرضِ، ويتحطَّمَ مائةَ قطعةٍ!

نظرَ الطبقُ إلى بقايا الكوبِ، وتَنهَّدَ فى أسفٍ قائلاً: "لو كنْتُ أنا الذى أحملُكَ عندما رفعَكَ الصبِىُّ، لما جرى لكَ ما جرى. ومن الغريبِ أننى لم أتذمَّرْ أبدًا من حملِكَ، رغم أننى كنْتُ أحميكَ دائمًا من مثلِ هذا المصيرِ. بينما لم تتحمَّلْ أنتَ أن أظلَّ معَكَ فى مكانى المُتواضعِ .. لقد كنْتَ تخشى أن أفوزَ بشىءٍ، ولو قليلٍ، من تقديرِ الناسِ، فكانَتِ النتيجةُ أن فقدْتَ كلَّ حياتِكَ.."



النخلة واللبلاب

يُحكَى أن شجرةَ لبلابٍ، التفَّتْ حولَ جذعِ نخلةٍ عاليةٍ. وخلالَ أسابيعَ قليلةٍ، وصلَتْ إلى أعلى جزءٍ منها.

سألَتْ شجرةُ اللبلابِ النخلةَ عن عمرِها، فأجابَتْ: "مائةُ سنةٍ".

فقالَتْ شجرةُ اللبلابِ فى دهشةٍ: "مائةُ سنةٍ؟! ولم تصلى إلا إلى هذا العلوِّ الذى وصَلْتُه أنا فى عددٍ قليلٍ من الأيامِ؟!"

أجابَتِ النخلةُ: "هذا صحيحٌ .. وفى كلِّ صيفٍ، تلتفُّ حولى شجرةُ لبلابٍ مثلُكِ، فأين ذهبَتْ؟! إن عمرى مائةُ سنةٍ، أمَّا عمرُكِ فلن يزيدَ عن صيفٍ واحدٍ !"

وفى حكمةٍ أضافَتِ النخلةُ: "ليس المهمُّ سرعةَ الوصولِ إلى مكانةٍ عاليةٍ، المهمُّ هو الاحتفاظُ بهذه المكانةِ عمرًا طويلاً."



صدر من هذا السلسلة

١ - كيس الخصام
٢ - طيران بغير طعام
٣ - النمر لا يهزم السلحفاة
٤ - أسد فى المطعم
٥ - كلمة سحرية
٦ - النحلة تقود العربة
٧ - جحا واللاشىء
٨ - عيد للجميع
٩ - نهاية ملك المزرعة
١٠ - انفجار فى معمل
١١ - الربح فى غرامة
١٢ - الأسد ورائحة فمه
١٣ - شاى وفطائر
١٤ - الآلة المتكلمة
١٥ - جرس الإنذار
١٦ - الأمير والحمام
١٧ - الخليفة ينقذ قطة
١٨ - القفزة الشجاعة
١٩ - يشرب ماء النهر كله
٢٠ - اعتداء المضحك
٢١ - قتلتنى يا شيطان
٢٢ - أم لا تخاف
٢٣ - لا خطر الآن
٢٤ - تغريد جحا
٢٥ - ذكاء المهرج
٢٦ - من يحبها أكثر ؟
٢٧ - لحم فى الهواء
٢٨ - الوهم الجميل
٢٩ - ذهب وعاد حافيًا
٣٠ - أعظم يوم فى حياتى
٣١ - الشمس وعنقود العنب
٣٢ - سيدة الأزهار
٣٣ - حلوى لأمير المؤمنين
٣٤ - تظاهر بالجنون
٣٥ - أذكى الأذكياء
٣٦ - القلب الذهبى
٣٧ - رحل فى الهواء
٣٨ - هزيمة أسد
٣٩ - أم فوق الجليد
٤٠ - شبح فى الحديقة
٤١ - آبار فى الصحراء
٤٢ - جحا وأغلى الأشياء
٤٣ - الرائحة والرنين
٤٤ - رأس الذئب الطائر
٤٥ - حلاوة السكر تبقى
٤٦ - الفيضان والكنز
٤٧ - جحا وحصان السلطان
٤٨ - نار فى ذيل ثعلب
٤٩ - مشمش أكل كوكى
٥٠ - يعيش .. يعيش .. يعيش
٥١ - الجائزة لمن ؟
٥٢ - قانون الغراب
٥٣ - الدنيا لا تزال بخير
٥٤ - صغيرة فى صيدلية
٥٥ - طفل بين زراعى غوريللا
٥٦ - أم لألف طفل
٥٧ - حساب رأس السنة
٥٨ - هدية من الشمع
٥٩ - الاحترام للسائق
٦٠ - بغير خصام



دار مصر للطباعة